شرح القصيدة الخمريّة

وهي ميميّة سلطان العاشقين الإمام عمر ابن الفارض الشهيرة



شرح موجز للإمام داوود القيصري

تحقيق وتقديم الأستاذ المشارك الدكتور محمد بايرقدار

شـرح القصـيدة الميمية

لداود القيصري

Şerhu'l -Kasîdeti'l-Mîmiyye
Li Dâvûdi'l-Kayserî

حققه وقدم له

الأستـاذ المشارك الدكتـور

محمد بايراقدار

Neşir ve Önsöz

Doç. Dr. Mehmet BAYRAKDAR

بســــــــــم الله الرحمن الرحيم

١ ـ تمهيد :

الحمد لله الملك لجميع الأكوان ، الذي من هباته الممالك ، فهو الكريم المنان ، الذي لا يكون قضاؤه الا بالعدل والإحسان والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه أجمعين .

إن دراسة فلاسفة ومتصوفين الأتراك والإسلام لاتكون مجدية حقا ، ومفيدة فعلا الاّ اذا اعتمدت مباشرة على النصوص والآثار التي خلفوها لنا . إنهم كتبوا كثيراً ، ولكن وصل إلينا القليل ونشرالأقل ، ولقد بدأت منذ مدة قريبة ، حركة قوية في تركيا لنشر ما كان مجهولا او دفينا من هذا التراث الهائل الذي يبرهن على أنه وجد مفكرون أفذاذ في تركيا الإسلامية . وكان داود القيصري من أسبق المفكرين في التاريخ العثماني والإسلامي ، فقد استحق الإهتمام الكبير في نشر مآثره . وفعلا قام ميرزا محمد شيرازي بنشر أهم مؤلف للقيصري ، وهو كتاب «« مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم »» وذلك عام ١٢٩٩ م في طهران ثم ظهرت هذه الطبعة نفسها مرة ثانية في ..١٣ م في بومباي بدون مقدمة ولا تعليق ولا مقارنة ، وبعد مدة نشر السيد جلال الدين آشتياني «« المقدمات للمطلع »» في سنة ١٣٨٥ هـ في مشهد مع تقديم وتعليقات بالفارسية .

ولكن جميع المؤلفات الأخرى للقيصري والّتي توجد في المكتبات العالمية المختلفة غير مطبوعة ، وها هنا نحاول أن ننشر أصغر مؤلفاته حجما وهي شرح القصيدة الميمية ، معتمدين على المخطوطات المحفوظة في مكتبات استنبول .

٢ ـ مقدمة :

داود القيصري

حياته :

في الحقيقة لا نعرف الاّ شيئا يسيرا عن حياة داود القيصري وشخصيته . فاسمه الكامل هو داود محمود بن محمد القيصري ؛ ولد سنة ١٢٦٠ م في مدينة قيصرية في أناطولي ، ولقب القيصري نسبة إلى هذه المدينة (١) قرأ العلوم الدينية والعقلية على سراج الدين بن أبي بكر الأرموي (٥٩٤ ـ٦٨٢هـ) وعلماء آخرين مثله في مدارس قيصرية (٢).

ثم دخل القيصري مصر بتاريخ غير معلوم لنا واشتغل بالعلوم والدراسة لمدة أربع سنوات أو أكثر (٣) وبعد ذلك انتقل إلى أناطولي . ثم التقى بالمتصوف المشهور عبد الرزاق بن كمال الدين بن الغنايم القاشي (ت . ٧٢٠ هـ) في مدينة قونيا عاصمة سلاجقة الأناطولي ، فدخل إلى التصوف على يديه (٤) ثم سافر إلى مدينة سوى وعاد إلى أناطولي مرة ثانية . وبدأ يشرح من الكتب المشهورة في التصوف لمحي الدين بن العربي وابن حفص عمر بن علي السعدي المعروف بابن الفارض المصري ، ولذلك عين للتدريس في مدرسة

---

١) مجدي أفندي : ترجمة شقائق ، مطبعة عامرة ، استنبول ، ١٢٦٩ ، ص . ٢٧.

٢) أحمد جودت باشا : قصص الأنبياء ، استنبول ١٣٣١ ، ص ٩٩٨ .

٣) بروسه لي محمد طاهر : عثمانلي مؤلفلري ، مطبعة عامرة ، استانبول ١٣٣٣ ، ج ١ ص ٦٧

٤) داود القيصري : مطلع ، في مكتبة السليمانية حسن حسني ، رقم ٦٨٣ ص . ٢ ب .

ازنيق التي تعتبر أول مدرسة عثمانية والتي أسسها أورخان غازي سنة ٧٣١ هـ . حيث عين للتدريس فيها الشيخ داود القيصري بثلاثين أقجة يوميا(٥) . مات القيصري في سنة ٧٥٠ هـ في ازنيق ودفن فيها (٦) .

مكانته :

صيته عظيم وشهرته وافية في االبلاد الإسلامية كلها . ولما فتح السلطان أورخان غازي مدينة ازنيق في سنة ٧٣١ هـ واستخلصها من البزنطين بني فيها مدرسة . وكان داود القيصري متصوفا ومتكلما وفيلسوفا وهو من أوائل وأكبر المفكرين العثمانيين على الإطلاق في القرون الوسطى ، اشتهر القيصري كعالم وشيخ وشارح لمحي الدين ابن العربي وابن الفارض .
فقد دون مذهب وحدة الوجود فلسفيا كاملا (٧) وانتشر هذا المذهب بين العثمانيين بفضله . أخذ عنه كثير من علماء الدولة العثمانية خاصة مولا فناري ، وبالي أفندي بوسنوي ، واسماعيل حقي بورسوي وعلماء إيران والعرب عامة مثل حيدر عامولي ومولا صدر الدين شيرازي ، وامير عبد القادر ، وميرزا رضى قاسم شاهي ، وأبو الحسن جلو وعلامة أمين وعدوه استاذا لهم .

مؤلفاته :

كتب داود القيصري كثيرا في ميدان التصوف خاصة وفي ميدان علم الكلام والفلسفة عامة ، ونصف مؤلفاته شروح . وهذه هي شروحه :

---

٥) عاشق باشا زاده : تواريخ آل عثمان ، مطبعة عامرة ، استانبول ، ١٣٣٢، ص ٤٣

٦) اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ، استانبول ، ١٩٥١ ص ٣٦١ ومحمد ثريا : سجل عثماني ، مطبعة عامرة ، استانبول ١٣١١ ج ٢ ص ٣٢٣

٧) محمد ضيا : يكي قابو مولوي خانسي استانبول ، ١٣٢٩ ص ١٤ :

١) مطلع خصوص الكلام في معاني فصوص الحكم .
٢) شرح القصيدة التائية .
٣) شرح القصيدة الميمية ، يسمى الخمرية .
٤) شرح بسملة بالصور النوعية الأنسسنية الكاملة .

ومع ذلك فان قيمة القيصري الحقة تقوم على ما صنفه من كتب وهذه هي كتبه المصنفة :

١) تحقيق ماء الحياة وأسرار الظلمات .
٢) كشف الحجاب عن كلام رب الأرباب .
٣) نهاية البيان في دراية الزمان .

وكتب القيصري مقدمات لكل شرح قام به ، والتي تعتبر كل واحد منها رسالة مستقلة ، ولذلك فإن المقدمة لشرح التائية تسمى بـ << كتاب في علم التصوف >> والمقدمة لشرح الميمية تسمى بـ << كتاب في معرفة المحبة الإلهية >> (٨)

---

٨) لكتب القيصري أنظر : كاتب جلبي كشف الظنون ، استانبول ، ١٩٤٧ ، ج ٢ ١.٣٨ ، ١٢٥١ ، ١٧٢.، ١٩٨٧ ؛ بروكلمان (كارل) : تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٢١٤ ج ٢ ص ٢٩٩ ج ١ ساب ص ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٧٩٣ ج ٢ ساب. ص ٣٢٣

٣ ـ في شرح القصيدة الميمية :

شرح القصيدة الميمية لداود القيصري ، التي ننشر نصها لأول مرة ، كما يدل عليه العنوان ، شرح على القصيدة المشهورة ، تسمى بالميمية لابن الفارض المصري . هذا أجمل شرح بين شروح القصيدة الميمية . وهو يسبق المقدمة التي يبحث القيصري فيها عن المحبة الإلهية وأنواعها باختصار ولذلك تسمى المقدمة في فهارس المكتبات والمصادر المختلفة بـ «« رسالة في معرفة المحبة الإلهية »» تارة و «« رسالة في المحبة »» تارة أخرى . وعندنا شواهد تدل على أن القيصري ألف شرح القصيدة الميمية بعد شرحه فصوص الحكم لابن العربي وبعد شرحه القصيدة التائية لابن الفارض .

ولهذه الطبعة التي بين يديك أصلان مخطوطان اثنان ، ونصفهما في يلي:

١ ـ النسخة المخطوطة الأولي :

النسخة الأولى ، هي النسخة الموجودة في المكتبة السليمانية في استانبول تحت الرقم ٢٨ / ١،٢٨ والشرح يبدأ من الورق أ ـ ٣٢٢ وينتهي إلى الورق أ ـ ٣٣٧ . بدون تاريخ نسخها ولا اسم الناسخ ، في كل صفحة ١٩ سطرا بخط نسخي . ورمزنا إليها بالرمز (سل) . ونظن ان هذه النسخة الأولي ، هي أجود النسخ المعروفة وأكملها وأقدمها .

٢ ـ النسخة المخطوطة الثانية :

النسخة الثانية موجودة في مكتبة رشيد أفندي في استانبول تحت الرقم ٨٥٨ والشرح يبدأ من الورق ب ـ ١٧٩ وينتهي إلى الورق ب ـ ١٩٢ بدون تاريخ نسخها ولا اسم الناسخ ، في كل صفحة ٣٥ سطراً بخط نسخي جميل ورمزنا إليها بالرمز (ر) .

شـرح القصيدة الميمية
لداود القيصري

بســــــــــــــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجلى لقلوب عباده المصطفين ، أزل الآزال و أحييّ أرواحهم بتجليات الجمال والجلال ، ونوّر (١) عقولهم بإ ظهار (٢) الانوار الساطعة ، وجعلهم علي أهل الحجـاب حججا (٣) قاطعة ، وسقاهم بكاسات الشر اب السلسبيلي شرابا طهورا ، وملأ صدورهم بالمزاج الزنجبيلي لذة وسرورا علي أيدي سواقي أسمائه وصفاته في مجلس الحضرة الإلهية وذاته .

فصاروا سكارى من أنوار جماله قبل الظهور في الصورة البشرية وبقوا حيارى (٤) من حسنه وكماله قبل هذه النشئة العنصرية . فاصبحوا في جمال الذات هائمين . وأمسوا بحق العبارة الذاتية (٥) قائمين . فأفاضوا مما شربوا جرعة للعطش الطالبين والاحوا مما وجدوا لقلوب السالكين . فحيى من شرب منه جرعة . وتنور قلوب من وجد منه لمعة . فملأت العوالم أنوارهم نورا ، وأظهرت الأرواح اسرارهم جودا . فنطقوا بما نطقوا نظما ونثرا ، وأظهروا ما ظهروا به صحوا وسكرا .

جزاهم الله عنا خير الجزاء ورضي الله عنا وعنهم يوم اللقاء . وصلى الله على مقدم الجماعة السابقين منهم واللاحقين ومن به يفتح باب الشفاعة من بين الأنبياء والمرسلين ، صاحب الحوض والكوثر ، الذي شانئه هو الأجر (٦) ، محمد المصطفى ورسول الله المجتبى ، حبيب رب العالمين ، صلوة دائمة إلى يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد يقول العبد الفقير إلى رحمة العليم الخبير داود بن محمود بن محمد القيصري بلّغه الله إلى ذروة الكمال وأنار قلبه بأنوار الكبير المتعال : لما فرغت من شرح القصيدة التائية المسماة (٧) بنظم الدر للشيخ المحقق المدقق قدوة عرفاء العالمين ، ورئيس أكابر العاملين ، فخر المكاشفين ، زين الأولياء ، قطب الأصفياء أبي حفص عمر بن علي السعدي المعروف بابن الفارض المصري قدس الله سره وأعلى بين الملأ الأعلى ذكره ، سألني أخ لي في الدين ، صاحب العلم واليقين ، الواصل إلى ذروة مقامات العارفين ، أدام الله توفيقه ، أن أشرح قصيدته الميمية المسماة بالخمرية التي هي الدرة البيضاء في القصائد والشمسة الزهراء للقلائد (٨) فأجبت لمتمسه وسطرت مقتبسه .

---

١ ـ نعر : سل ٢ ـ بظهاره : سل ٣ ـ مجى : سل ٤ ـ حيازى : ر
٥ ـ ناقص في ر ٦ ـ الأبتر : ر ٧ ـ المسمات : ر ٨ ـ للقايد : سل

ولما فرغت من تسطيره وتنميقه وتحريره جعلته مشرفا بألقاب المولي المعظم الصدر الأعظم ملك (١) فضلاء العالم أفضل المتقدمين والمتأخرين أكمل علماء العالمين سلطان الحكماء و(٢) المحققين ، وفريد دهره ووحيد عصره ، مخزن الأسرار الإلهية ومنبع الأنوار الأحدية أمين الله في أسراره وأمين الملة والدين عبد الكافي بن عبد الله التبريزي أدام الله فضائله على العالمين بحق محمد وآله وصحبه أجمعين عرضا بين يديه وتقربا به لديه .

وأسأل الله العون والتوفيق وأرجو منه الصدق والتصديق . ولما كان بيان القصيدة متوقفا على معرفة المحبة الحقيقية التي هي عين الحقيقة في بعض مراتبها وعلى معرفة أقسامها ونتائجها . جعلت له مقدمات ثلاثا يبتني الكلام عليها ويصح البيان لديها .

الأولى في حقيقة المحبة والثانية في أقسامها والثالثة في نتائجها .

الأولي في حقيقة المحبة :

فاعلم أن الحق سبحانه أخبر عن نفسه بقوله : « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلق الخلق وتحيت إليهم بالنعم فعرفوني . » (٣) وقال في كلامه المجيد في حق عباده المخلصين عن قيود التعلقات الموبقة للأنفس والقلوب (٤) المانعة (٥) إياها عن الوصول إلى غيب الغيوب . « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » (٦) فاثبت على نفسه المحبة . ولا شك أن المحبة (٧) المتعلقة بإظهار (٨) الكمالات مترتبة على المحبة الذاتية التي هي أصل المحبة الصفاتية التي صارت سبب ظهور جميع الموجودات ورابطة أنواع التأليفات الروحانية والجسمانية .

والمحبة الذاتية ناشئة من إدراك الحق ذاته وكمالاته الذاتية بذاته . فهي مترتبة (٩) على العلم . وهذه المحبة ، في المرتبة الأحدية التي لا تعدد فيها بوجه من الوجوه ولا كثرة فيها بنوع من الأنواع ؛ اذ لا اسم لها ولا نعت ولا صفة فيها زائدة على الذات ؛ عين الذات الأحدية غير ممتازة عنها أصلا . فلا يحيط بحقيقتها (١٠) العقول والأفكار . ولا تدرك البصائر .

١ـ من : ر ٢ ـ ناقص في ر ٣ ـ العجلوني : كشف الخفاء ، القاهرة ١٣٥٢، ، ج ٢ ، ص : ١٣٢ ٤ ـ العلب : سل ٥ ـ المانع : سل ٦ ـ المائدة : ٥٤
٧ ـ ناقص في ر ٨ ـ باظهار : سل ٩ ـ مرتبة : ر ١٠ ـ بحقيقها : سل .

والأبصار ولا يحوم حول حماها حائم ولا يروح بحقيقتها (١) رائم . لذلك قيل: تعالى العشق عن (٢) همم الرجال ، وعن وصف الفراق أوالوصال ، متى ما جلّ شيء عن خيال ، يجلّ عن الإحاطة والمثال . وقال تعالى : «ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد .» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله .» (٤)

وفي المرتبة الواحدية حضرة الأسماء والصفات تتميز المحبة عن الذات وعن كل من الأسماء والصفات كما ان الصفات تتميز بعضها عن بعض وعن الموصوف بها . فيظهر حقائقها في الحضرة العلمية الإلهية متميّزة وتتحقق مظاهرها في الوجود العيني متكثرة . وحقيقة المحبة التي هي في الحضرة الواحدية والحضرات الكونية ظاهرة متميزة لا تتجلّى لمن لا يكون شيء منها حاصلا له ولا ينكشف عن وجهها النقاب إلاّ نفس ذائقة إياها واجدة معناها . لأنها أمر وجداني تدرك الروح والنفس والقلب بحسب صفاء (٥) كل منها شيئا منه عند انجذابه إلى من هو الجميل المطلق لوجود الجمال المطلق فيه والكمال التام له أو الى مظهر من مظاهره الروحانية والجسمانية لوجود نصيب منه فيه وحصته روحانية ظاهرة في كل منها . تتنزل الهوية الإلهية الظاهرة في صورها ظهورا يليق باستعداد عين (٦) من الأعيان الثابتة الكونية الحاصلة بالفيض الأقدس الذاتي وموجب الحب الأول ؛ بل جميع الوجدانية بهذه الحيثية . فان تعريف لذة السماع للبليد الذي لا يجدها ذوقا وطيب الجماع للعنين الذي لا يقدر عليه من جملة المحالات . لذلك قيل :

لا يعرف الحب إلاّ من يكابده ، ولا الصبابة إلاّ من يعانيها .

وأقول :

لا يعرف الحبّ إلاّ مدنف كلف ، والعقل عن دركه كالوهم معزول

ولا يشاهد شمس الذات من أحد ، فلكل في حقها كمّه أضاليل

ومع هذا لا يجد من اعتاد أن يتصور (٧) جقائق الأشياء بتعريفات موصلة إلى الحقائق أو لوازمها البينة الموجب تصورها رخيصة من نفسه أن لا يتكلم في الأمور الوجدانية أيضا ، ولا يعرفها إياها لغلبة تحقيق الحقائق على نفسه . وذلك إما تبيينها (٩) أو لطالب كما يقتبس (١٠) من مشكوة أنوارا (١١) قلبه وروحه .

---

١ ـ تحقيقها : سل ٢ ـ غير : سل ٣ ـ آل عمران ٣.
٤ ـ العجلوني : كشف الخفاء ج ١ ص ٣١١ الصفاء : ر ٦ ـ غير : سل
٧ ـ يتصو : سل ٨ ـ التي : سل ٩ ـ تبيينا : سل ١٠ ـ نفس : ر
١١ ـ أنوار : سل .

فعرف بعض الحكماء أنها (١) إبتهاج بتصور حضور ذات ما هي كمال للمدرك . وهذا تعريف بما يلزم المحبة في بعض الأوقات ؛ لأن الإبتهاج حينئذ إنما يحصل للمحب عند تصور حضور المحبوب لا دائما والمحب عند فراق المحبوب وعدم تصوره محبٌ . وليس بمبتهج وأيضا الإبتهاج هو سرور المدرك بحضور المحبوب أو تصور حضوره .

والمحبة تارة تعطي ذلك واذا هي صفة . فليس من لوازمها بل من أعراضها المفارقة لحصوله وقتا دون وقت . فلا يصلح للتعريف مع أن الإبتهاج الذي يحصل من تصور حضور ذات المحبوب لا يعطي المحب نفعا طايلا ؛ لأنه بالنسبة إلى الإبتهاج الحاصل من الحضور والسرور الحاصل من الشهود ليس إلاّ أمرا حقيرا أو شيئا يسيرا . كما قلت فيه شيئان بين خيال الحب عند فرقد وبين ما كان جنب الصب مفنقا . ان الخيال ولو يعطي لصاحبه روحا من الحب لكن أين ما عبقا ؟

وقال بعضهم إنها عماء المحب عن عيوب المحبوب . وهذا لا يصدق إلاّ على المحبة الكونية اذ العيب أو إمكانه والعماء عنها لا يكون إلاّ للمحدثات المحتاجة في وجودها وكمالاتها إلى موجد يوجد .

وعرّف بعض الأطباء بأنها مرض وسواسيٌ يجلبه الإنسان بالفكر إستحسانا صورة جميلة . وهذا لا يصدق إلاّ لبعض أنواع المحبة الآثارية .

وقال بعض أهل الذوق : « إن المحبة صفة سرمديّة وعناية أزلية . ولولا العناية الزلية ماكانت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . » وهو قول الحسن الحلاّج قدس الله سره وقال عمرو بن عثمان المكّي قدّس الله روحه : « إنها سرّ الله تعالي أودع قلوبَ الموقنين المخلصين . » والقولان إشارة إلى المحبة الإلهية التي لايحيط كنهها عقل ولا فهم .وسنح على خاطر هذا الضعيف أن المحبة وإن كانت في الحقيقة معنى واحدا لا يحاط به ولايدرك بالحقيقة لكنها بحسب متعلقاتها وبحسب من هي قنمة به تختلف . فترسم برسوم مختلفة .

فأما الإلهية فهي عبارة عن حقيقة الإلهية تعلقها بشيء يوجب اصطفاءه على غيره وايصاله له إلى كمال نفسه . وأما الكونية فهي ان كان متعلقها حلا من أحوال عينه وكمالا من كمالاته ، فعبارة عمّا هو مبدأ طلب لما هو كمال بالنسبة إليه . وبهذا التعريف يشتمل المحبة كل ما يتصور فيه كثيرة سواء كانت من قبيل الأسماء والصفات أو عينا من أعيان الموجودات . لذلك قيل المحبة سارية في جميع الموجودات .

---

١ ـ أي المحبة

وإن كان متعلقها غيره فهي عبارة عن معني روحاني يعني المحب في محبوبه إنجذابا إلى مطالعة كماله وابتهاجا بمشاهدة جماله ولكونها أمرا ذوقيا ومعني وجدانيا . كلما يكون المدرك ألطف وأجلى تكون المحبة أتم وأعلى . فهي بكمالها لاتكون إلاّ لأكمل الموجودات ظاهرا وباطنا ، علما وحالا ، كشفا وشهودا كنبيّنا صلى الله عليه وسلم ، بل بكمالها لايكون إلاّ لمبدع الكل وخالقه . ولغيره آثار فائضة منه وأنوار حاصلة بالانعكاس فيه كالوجود ولوازمه . والله أعلم بالحقائق .

الثانية في أقسامها :

فلا بدّ أن أتعلم أن المحبة تنقسم بنوع من الاعتبارات إلى ذاتية وصفاتية واسمائية وأفعالية وآثارية . ولكل منها أنواع مندرجة تحته .

أما الذاتية، فهي المحبة التي تنشأ عن إدراك الذات الإلهية ذاتها بذاتها من طلب الذات ظهورها بصفاتها التي هي في المرتبة الأديةعينها . وهي عين الذات الأحدية وأصل المحبة الصفاتية والأسمائية وغيرها كما مرّ .

وأما الصفاتية ، فهي المحبة التي تنشأ من طلب كل من الصفات من الذات الإلهية ظهورها في مظاهر اسمائها وصفاتها .

وأما الأسمائية ، فهي المحبة النشئة من طلب الأسماء ظهورها ، وظهور مجال ولايتها ومجال دولها وسلطنتها .

وأما الأفعالية ، فهي التي تطلب ظهور الشؤن الإلهية المشار إليها بقوله : «كل يوم هو في شأن .» (٢) على أيدي مظاهر اسمائه الجمالية والجلالية . وهذه المحبة الأسمائية والصفاتية هي التي اقتضت وجود العالم . اذ العالم مقتضي الأسماء والصفات لا الذات .فإنها غنية عن العالمين بحكم : «إن الله غني عن العالمين .» (٣)

وإن كانت هي أيضا مقتضى المحبة الذاتية ونتيجتها كما أن الأسماء المقتضية لوجود العالم هي أيضا مقتضى الأسماء الذاتية والشؤن الغيبية الإلهية النتي لا يعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى المشار إليها بقوله تعالى :

---

١ ـ طلب بمعنى « إرادة »

٢ ـ الرحمن : ٢٩ ٣ ـ العنكبوت : ٦

«وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلاّ هو » . ١) وهذه المحبة وإن كانت معنى واحدا لكنها تتكثر إما بإضافتها إلى كل من الأسماء والصفات التي هي طلبة لظهورها وإما بحسب متعلقاتها ومقتضياتها .

وأما الآثارية فهي المحبة التي تظهر في الأكوان ، وأعلى مراتبها ما (٢) كانت بين الأرواح المجردة المسماة بالملائكة المقربين ثم ما كانت بين النفوس السماوية والأملاك الطبيعية العنصرية. ثم ما كانت بين النفوس الناطقة المجردة الإنسانية بحكم المناسبات الأصلية الروحانية الظاهرة بينهم . ثم ما كانت بين ملكوت الموجودات العنصرية بسايطها ومركباته . وإن كانت مختفية في البعض كما في الجمادات ظاهرة في البعض الآخر ؛ ما في الحيوانات . فيما في الوجود شيء إلاّ وله عشق ومحبة .اذ لكل شيء كمال هو محبوبه . ولما كانت جميع الكمالات التي تتعلق بها المحبة فائضة من الله سبحانه وكلها بالأصالة له (٣) ولغيره بالتبعية ، كما قال الناظم :

فكل مليح حسنه من جمالها ، معار له بل حسن كلّ مليح .

فيتعلق جميع المحبات الكونية في الحقيقة بالله تعالى علموا ذلك أو لم يعلموا كما قيل :

كل الجهات لشمس حسنك مشرق ، ولكل ذي قلب إليك تشوق

يا واهب الحسن البديع لأهله ، كلّ لحسنك في الحقيقة يعشق

فمن أحب ذاته التي هي منبع الكمالات كلها ولا يقف عند الآثار ومباديها من الأسماء والصفات ، فهو الكامل المكمل الأعلى من كل من له الكمال كما ورد في حقّ (٤) نبينا صلى الله عليه وسلم : «« ما زاغ البصر وماطغى .»» (٥)

ثم محب الأسماء والصفات ، ثم محب الأفعال والآثار ولا من حيث أنفسها ، من حيث إنها أسماؤه وصفاته وأفعاله وآثاره . فإنها من حيث أعيانها أغيار والواقف مع الغير محجوب عن المحبوب الحقيقي . فأدنى المراتب محبة الآثار وهي أيضا على مراتب ، وأدناها محبة الشهوة اذا كان المحب من المحجوبين ، وإن كان من العارفين المشاهدين للحق وجماله في المظاهر الخلقية فهي بالنسبة اليه من قبيل التجليات الحاصلة من الاسم الظاهر .فإن النكاح الصوري مثال للنكاح الروحاني وهو مثال للنكاح الأسمائي الواقع في الباطن الإلهي غيب الغيوب كلها .

---

١ ـ الأنعام : ٥٩ ٢ ـ لما : سل ٣ ـ أي الله تعالى

٤ ـ ناقص في سل ٥ ـ النجم : ١٧

وذمّ العلماء هذاالمعنى وتنزيله إلى المرتبة البهيمية . إنما هو بالنسبة إلى أهل الحجاب المشتغلين بالطبيعة المحضة الوافقين مع أنفسهم وحظوظها ، لا لأهل الكشف والشهود ألا ترى (١) أن النبي صلى الله عليه وسلم كيف قال : « حبّب إليّ من دنياكم ثلاث : النساد والطيب وقرة عيني في الصلاة » (٢) مع أنه أكمل بني آدم وأشرفهم . وفيه أسرار غامضة جدا . فلنمسك عنان العارة . والعارف يكفيه الإشارة . والمحبة تقتضي ظهور المحبوب من وجه وبطونه من وجه آخر اذ طلب المجهول المطلق ومحبته محال . وكذلك تحصيل الحاصل .

وجميع المحبة الآثارية نتيجة أنواع المحبة الأسمائية والصفاتية بحسب تناسبها وتنافرها وتوافقها وتخالفها وتضادها الظاهرين اولا في عوالم الأرواح ثم الأشباح لان وجودات الأكوان ولوازمها ظلال وجودات الأسماء ومقتضياتها الكائنة في الغيب المطلق تظهر (٣) في العوالم الجبروتية والملكوتية والملك . تظهر الهوية الأحدية فيها . وقوة المحبة وضعفها إنما هو باعتبار (٤) غلبة أحكام الوحدة والكثرة .

فإن الكثرة إنما تكون بحكم ما به الإمتياز والوحدة بحكم ما به الإشتراك وما به الإمتياز يقوي حكم التنافر والتضاد ، فيقوي العداوة والبغضاء . وما به الإشتراك يقوي حكم التوافق والإتحاد ، فيقوي المحبة والولاء . فكلما كانت الحجب كثير كان التنافر أقوى وكلما ارتفعت الحجب وقلّت أحكام الكثرة يضعف التنافر وتقوى المحبة . فالكاملون أقوى محبة من جميع الخلائق وأشد حبا لله ولعباده (٥) المؤمنين ثم من ناسبهم . لذلك كانوا رغبة (٦) في النساء وإدراكا لحسن والجمال وأقوى ميلا إليهما . ولأسرار أخرى لا تحتمل العقول الضعيفة بيانها والأفهام اعلانها .

---

١ ـ نرى : سل ٢ ـ أحمد بن حنبل : ٣ ـ ١٢٨ ، ١٩٩

٣ ـ فتظهر ر ، ويظهور : سل ٤ ـ ناقص في ر ٥ ـ لعباده ر

٦ ـ رغبة : ر

الثالثة في نتائجها :

فهي أن تعلم أن نتيجة المحبة الإلهية ، هو اصطفاؤه ، والمحبوب من بين خلقه واجتباؤه وتكريمه من بين أنبيائه جنة كما قال في حق آدم عليه الصلاة والسلام : « لقد كرمنا بني آدم وحملنا هم في البر والبحر . » (١) وقال : « يا آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي فكن (٢) أنت لي تكن الأنبياء لك » (٣) وقال في حق عباده ونبيه موسى عليه الصلاة والسلام :« واصطنعتك (٤) لنفسي (٥) واصطفاء ملائكة المقربين وعباده المكرّمين ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله سبحانه اذا أحب عبدا دعا (٦) جبرائيل فقال إني أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبرائيل . فينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع (٧) له القبول في الأرض . » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا أحب الله عبدا ألقي (٩) محبته على الماء فكلّ من شرب من (١٠) ذلك الماء أحبه . » (١١)

والإهداء إلى الصراط المستقيم والتوفيق لقبول الدين القويم والتأييد على أتباع النبي الكريم في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ليمكن له (١٢) العمل بمقتضى أوامره . والقيام بحق العبودية فراءضها ونوافلها والتقرب بهما من الحق سبحانه الموجب لأن يكون سمع الحق وبصره وعمله وإرادته وقدرته ، بإتيانه وتقربه بالفرائض ، ولأن يكون الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله بتقربه بالنوافل كما أشار إليه الحديث : « ما تقرّب (١٣) إليّ متقرّب بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ولسانا ، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي . » (١٤) ومن جملة نتائج محبة الإلهية محبة العبد إياه واختياره على من (١٥) هو (١٦) سواه وطاعته لأحكام مولاه والاقرار بأن لا إله إلاّ الله ظاهرا وباطنا ، قولا

---

١ ـ الإسراء : ٧٠ ٢ ـ فكني : ر ٣ ـ لم أجد له أصلا
٤ ـ اصطنعتك : سل ٥ ـ طه : ٤١ ٦ ـ دعي : ر ٧ ـ توضع : ر
٨ ـ البخاري : ادب : ٤١ ٩ ـ القا : ر ١٠ ـ بذلك : ر
١١ ـ لم أجد له أصلا ١٢ ـ ناقص في سل ١٣ ـ يقرب : ر
١٤ ـ البخاري : رقاق ، ٣٨ ١٥ ـ ناقص في سل ١٦ ـ ما : سل .

وفعلا والالتذاذ بكل ما يحكم الحق سبحانه وتعالى ويقضي عليه والرضاء بما قدر وأجري عليه بين يديه ومحبته و(١) قهره وجفاؤه كما يحب لطفه وانعامه . اذ كل ما يفعل المحبوب محبوب وشوقه الى لقائه الموجب لشوق الحق اليه كما قال عليه الصلاة والسلام : «من أحب لقاء الله أحب الله لقائه» (٢) وقال الله تعالى لداود عليه السلام : «يا داود إن عبادي يشتاقون اليّ وإني أشد شوقا منهم اليهم .» (٣) ولله در القائل :

يحنّ الحبيب الى رؤيتي ، وإني اليه أشد حنينا
وتهفو النفوس ويأبى القضاء ، فأشكو الأنين ويشكو الأنبياء .

ومحبته لكل من يحب الحق وثمرتها العفو من العقاب وحصول الأجر والثواب . وعند دوامه في المحبة الحقانية يحصل له الوجد والسكر (٤) والهيمان والعشق المفني (٥) وجوده وذاته في وجوده وذاته سبحانه فناءً . يستلزم البقاء الأبدي ، ومحواً ينتج الى (٦) الصحو (٧) السرمدي وحصول الوجود الدائم الأزلي الأبدي ، فيتم له الخلاص من حضايق الإمكان ، والنجاة من طوارق الحَدثان الموجب للابتهاج الدائم والسرور وإنقلاب ظلمة عينه الدمية بعين النور . وكل ذلك بل كل ما يعد كمالا وحسنا وجمالا . وما لا يدخل تحت الوصف مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا يحصل إلاّ من شراب المحبة الّذي أشار اليه الناظم قدّس الله روحه في هذه القصيدة . فلنشرع في المقصود ، ولنشرح رموزه بقدر الوسع المجهود والله المستعان وعيه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم قال الشيخ قدّس الله روحه :

* شربنا على ذكر الحبيب مُدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكريم *

المراد بالحبيب هنا ، المجبوب الحقيقي الذي جمع موجبات المحبة كلها ، وهو الحق سبحانه الذي أوجد جميع الموجودات وأخرجهم من كتم العدم وظلمته الى نور الوجود (٨) برحمته الرحمانية ، وخصّ كلا منهم بكمال خاص يليق به برحمته الرحيمية وخلع على نوع الإنسان من بينهم خلعة الكرامة وتم على المؤمنين منهم نعمة الإسلام والإيمان والهداية بالتوفيق منه والعناية وجميع ما يترتب عليها من الكمالات ، كما قال الله تعالى :

---

١ ـ ناقص في سل ٢ ـ مسلم : ١٤ ـ ١٨ ؛ الترمذي : زهد ، ٦

٣ ـ لم أجد له أصلا ٤ ـ الشكر : سل ٥ ـ المقيي : سل

٦ ـ ناقص في سل ٧ ـ صحو : ر ٨ ـ الوجودية : سـل

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا»(١) وشرف من بينهم أولياوه بتشريف القرب والكمال ، وجعلهم موصوفين (٢) بصفات الجمال والجلال ليدركوا بما نالوا منه إدراكا ذوقيا أنواره ، ويعلموا بما حصل لهم منه أسراره فيحبّوه محبّة متنية أفعالهم في أفعاله ، محرفة صفاتهم في صفاته ممحقة ذواتهم في ذاته ، وبالمدامة الشراب الزنجبيلي والعين السلسبيلي الذي يطرب شاربه ويسكر صاحبه ويزيل عقله ويدهش لبّه كما أشير اليه في كلام الربّاني والنص الصمداني بقوله تعالى : «ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا .» (٤) ليفني به الشارب عن انانيته ويزول عنه أحكام بشريته ويضمحل رسومه الخلقية من التعينات الفعلية والصفاتية والذاتية فيزول عنده حكم الثبوتية ، ويتحد حينئذ بالذات الإلهية التي كانت من قبل ولم يكن معها شيئ ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « كان الله ولم يكن معه شيء .» (٥) بفناء ما لم يكن وبقاء من لم يزل ، كما قال الناظم قدّس الله روحه في قصيدته التائية :

* فأفنى الهوى ما لم يكن ثّمة باقيا ، هنا من صفات نبينا فاضمحلت *

وهذا الشراب بعينه هو الشراب المشار اليه بقوله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا.» (٦) يمزج أولا بالكافور ثم بالزنجبيل كما يشير سياق الكلام المجيد اليه ، وانما أتي بالمزاج الكافوري فيه لإعطائه بدد اليقين للشاربين من الأبرار ، وتفريحة لأرواح المحبين المُعرضين عن الأغيار . وعبّر عنه أيضا في المَرتبة الثالثة التي للمقرّبين بالرحيق المختوم في قوله تعالى : « يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقرّبون . » (٧) ولكونه ممنوعا عن وصول غير المقربين اليه قال : « من رحيق مختوم . ختامه مسك » يعطّر رفعه أنفاس الوجود ويروي ذوقه غليل العُطاش للشهود ؛ وأتي بالتسنيم إشارة الى علوّ مقامه وارتفاع درجته ؛ وبالشرب قبول الفيض الإلهي الدائم الذي يترتب على الأعيان واستعداداتها الموجب لإظهار الكمالات الكائنة في غيب العبد التي هي الشؤن الإلهية المستورة في خزانة الغيب المركوزة في حقيقة عين العبد وإنما قال على ذكر الحبيب ،

---

١ ـ المائدة : ٣ ٢ ـ موصوفا : سل ٣ ـ الانسان : ١٧ ـ ١٨ ٤ ـ يفني: سل
٥ ـ البخاري : بدء الخلق : ١ ؛ العجلوني : كشف الخفاء ، ج ٢ ، ص ١٣.
٦ ـ الانسان : ٥ ـ ٦ ٧ ـ المطففين : ٢٥ ـ ٢٨

فإن ذكره يحرك الوجد ويهيّج الشوق ويكمل المحبة ويفيد العشق ويعطي الهيمان ويورث الدهشة وغيرها مما تنتجه المحبة من الكمالات في أعيان الكاملين وأرواح الواصلين .

وللذكر مراتب فإنه (١)لساني وقلبي وروحي وسري ، وجميع هذه الأذكار نتيجة الذكر الرحماني ، عين عبده الذي لولاه لما كان وجود ولا ظهور ولا روح ولا سرور ، وهو عبارة عن العلم الذاتي الأزلي المتعلق بعين العبد حال ثبوته في الحضرة العلميّة ، ولما كان العبد في الحضرة العلمية وفي الحضرة العينية الروحانية ، قابلة للتجليات الإلهية الموصلة الى الكمال المغنية لعين العبد في عين ذي الجمال والجلال ، طالبة إياها من (٢) الحضرة الأحدية بلسان استعدادها ، شاربة صفوها على أيدي سواقي الأسماء والصفات في مجلس الحقائق الغيبية ، والأرواح العينية ، قبل أن يوجد في هذه الصورة الآلفية العنصرية كما قال الله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . »، (٣) قال سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم ، أي كنا مهيمين في جمال الله بجلال الله أزلا قبل الظهور في هذه الصورة البشرية ؛ ولما كان أعيان الأقطاب الكمل ، وأرواحهم كلهم بهذه الحيثية ، أتى بضمير الجماعة في قوله : شربنا وسكرنا .

* لها البدر كأس وهي شمس يديرها ، هلال وكم يبدوا اذا مُزجت نجمُ *

ضمير لها للمدامة . والبدر : مبتدأ . وكأس : خبره . تقديره كأس لها وفاعل يديرها ، هلال . وكم : خبرية . ومميّزه : نجم ، أي : وكم من نجم يبدو . والمراد بالبدر وجه الحبيب الإلهي من حيث الوجود المظهري ، وهو الذات المحمدية ، الموجودة بالوجود الحقّاني المنوّرة بنور شمس الذات الأحدية على سبيل الإنعكاس منها من حيث المقابلة بين الذاتين بحكم المرتبتين الكليّتين اللتين للوجود ، وهما مرتبتا الجمع والتفصيل ، لا من حيث الأحدية الذاتية ، اذ لا تميّز فيها ولا بينونة ، لذلك جعله كأسا ، فإن الكأس هو القدح المملوء من الشراب وهو شيء محدود . والمحدود(٤) لايكون إلاّ من العالم ، ولما استعار له لفظ البدر استعار للشراب الروحاني . لفظ الشمس لما فيه من (٥) الحرارة المعنوية الجامعة بينهما الموجبة للوجد والسكر ، والنورية التي بها تتنور القلوب (٦) والأرواح بل العالم كله .

---

١ ـ ناقص في ر ٢ ـ في ر ٣ ـ الأعراف : ١٧٢
٤ ـ ناقص في ر ٥ ـ لوجود : ر القلب : ر

وفي الحقيقة نور الشمس الظاهرية صورته ومظهره في العالم الحسي . فاستعار للساقي اسم الهلال ، ترشيحا للاستعارة بملابسة التدوير الحاصل لهما ، وإن كان للهلال تدوير شكلي ، فللساقي تدوير حالي ، وهو إدراة الكأس بين الأصحاب ؛ وكان المراد به أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كَرَّم الله وجهه وسماه هلال باعتبار ما كان بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام وبالنسبة الى حضرته كالهلال بالنسبة الى البدر ؛ وأيضا كما أنّ الهلال جزء من البدر فإن القمر اذا تنور بعضه عند بُعده عن الشمس أولا ، يسمى بالهلال كذلك أمير المؤمنين أيضا بمثابة الجزء من النبي عليه الصلاة والسلام في القرب لذلك قال : «« أنت مني بمنزلة هارون من موسى .»» (١) و «« أنا وعلي من نور واحد . »» (٢) وكان في زمن رسول الله عليه **الصلاة** والسلام بدر ، تنورت روحه بالنور المحمدي ، وإن كان بدرا كاملا بعده **منوراً** لقلوب السالكين وساقياشراب المعرفة لأرواح الكاملين الى يوم الدين وجعله ساقي الحوض والكوثر . وبهذا السبب انتسب أرواح الكمّل من الأولياء والأقطاب الذين كانوا بعده اليه دون غيره من الصحابة رحمه الله (٣) ، وما ظهرت (٤) أسرار التوحيد الاّ منه . وشبّه ما يحصل عند مزج الشراب بالماء من الحُباب بالنجم استعارة وترشيحا للاستعارة السابقة ، كما شبّه أبو نُواس بالدرّ في قوله :

* كأنّ صغرى وكبرى من مواقعها حصباء درّ على أرض من الذهب *

والمراد ما يحصل عند امتزاج شراب المعرفة الحقيقية بماء العلم من المعاني العقلية والمعارف اليقينية التي يمكن إدراكها بالبصاير ، كما يمكن إدراك النجوم بالبصاير ليطيق أصحاب الإدراكات العقلية والاستعدادات الصافية تناوله وشربه ، بإدراكهم إياه ، فإنّه يهلك شربه عند عدم المزج ، ويظهر صاحبه بصورة الإلحاد والزندقة ؛ كما أنّ الشراب الخمريّ ، اذا كان قوياً يهلك الشراب صرفا ، فلا بدّ من مزج ذلك قال الله في مشرب الأبرار من العباد والزهاد ونظائرهما من أصحاب الخيرات والمبرات والموفين نذورهم في سبيل الله والخائفين من عذاب يوم القيامة «« ويشربون (٦) فيها كأسا كان مزاجُها كافورا . »»

---

١ ـ الترمذ : مناقب ٢

٢ ـ الشوكاني الفوائد المجموعةفي الأحاديث الموضوعة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٣٤٢ ٣ ـ رضوان الله عليهم أجمعين ٤ ـ ظهر ر ، سل ٥ ـ يسقون سل

٦ ـ الإنسان : ٥

وفي مشرب المقرّبين الكاملين «ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقرّبون .» (١) والتسنيم من السنام ، والمراد به المقام العالي الذي لا يصل اليه إلاّ المقرّبون وجعل مزاج شراب السالكين المتوسطين والعارفين الموحدين الذين وصلوا مقام الأبرار وزيادة ، كما قال : «للذين أحسنوا ، الحسنى زيادة» (٢) مزاجا زنجبيلا لما في الزنجبيل من الحرارة المتوسطة اذ حرارته في المرتبة الثالثة ، فعند المزاج يحصل نجوم المعارف وعلم اليقين الموجب لرمتداء الطالبين ورشد السالكين ، كما قال تعالى : «وبالنجم هم يهتدون .» (٣) فسر الفراء الزنجبيل ، بأنه اسم للعين يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لساير أهل الجنة ..

قال رحمه الله :

* ولولا شذاها ما اهتديت لحانها ولولا سناها ما تصورها الوهم *

الشذا ، الرائحة الطيبة . والحان ، من حانة الخمار ، وهو موضع يباع فيه الخمر . والسنا ، الضياء والنور . والضمائر في شذاها وحانها وتصوّرها ، للمدامة . والمراد بالرائحة الطيبة : آثار الجمال المطلق ، وهو الحسن الظاهر في صور العاشقين الكونية وبالحان ، منبع الجمال المطلق الذي هو حسن الموجودات الروحانية والجسمانية ، قطرة بالنسبة الى بحر ذلك الجمال المطلق الذاتي ، أي ولولا رائحتها الطيبة التي هي المحبة الآثارية الظاهرة في صورة الملاح ما اهتدت الى منبع الجمال المطلق الذي للمحبوب الحقيقي ، كما قيل في حقه :

* جناني من الحب مأواكم خباني من الأرض معناكم *

* ولولا كم ما عرفنا الهوى ولولا الهوى ما عرفناكم *

ولولا أنوارها وأضواءها في صور الموجودات الظاهرية ، لم يكن الوصول الى نور الأنوار الذي هو الوجود المطلق الإلهي ؛ فإن النفس عند افتتانها بالمحبوب المجازي الذي هو من وجه حقيقي كما مرّ ، وابتلاؤها ببلاياه ومحنه . تتوجه الى المحبوب الحقيقي المطلق الذي هو الصمد لكلّ شيء والملجأ لكلّ حيّ فيفيض عند ذلك من آثار جماله المطلق عليها ويجذبها منها ويأخذها من يده محبوبها المجازي غيرة منها عليها فيخلصها من مضايق البلايا والمحن ويوجّه وجهها الى جانبه الكريم منبع الأنوار ومعدن الكمال ، فيحصل له الوصول الى الحضرة الإلهية ويتنوّر الفهم بتنوّر النفس ،

---

١ ـ المطففين ٢٧ ـ ٢٨ ٢ـ يونس : ٢٦ ٣ ـ النحل ١٦

فيدرك الأمور الكلية لصيرورته حينئذ عقلا مدركا للكليّات (١) ؛ لذلك قيل : من يعشق ، لم يكن له السلوك .

قال قدّس الله روحه :

* ولم يبقِ منها الدهر غير حشاشة   كأنّ خفاها في صدور النُهى كَتُمُ *

الحشاشة المهجة ، وهي بقية الروح . والنهى ، نُهية وهي العقل والكتم ، السر . والمراد به المكتوم أي والحال أن الدهر ما ترك في (٢) زماننا هذا في شراب المحبة وآثارها الأشياء قليلا ، وهي البقية التي بها بقاء حياة العارفين المستورين عين أعين الأغيار ؛ وباقيها انكتم واختفي عن الأبصائر الأبصار حتى كأنّ اختفائها أيضا صار مخفيا أي صارت بحيث لا يشعر بها وباختفائها أيضا .

واعلم أن الظهور والاختفاء أثران للاسم الظاهر والباطن ، وللأسماء الإلهية بحسب ظهور أحكامها ، دول وسلطنته ، كما بيّنا في مقدمة شرح الفصوص ، فتارة تكون السلطنة للظاهر على الباطن وأخرى بالعكس ، فيكون للباطن سلطنة على الظاهر ؛ وكذلك لكلّ من الوَحدة والكثرة سلطنة . فإذا كانت السلطنة للظاهر غلبت الكثرة على الوحدة اذا الظاهرله الكثرة فيكون الباطن مغلوبا والوحدة وأحكامها مختفية . وإذا كانت السلطنة للباطن يكون الظاهر مغلوبا ، وأحكام الكثرة مستهلكة تحت حكم الوحدة ، فتكون الأسرار الإلهية ظاهرةعلى ألسنة العارفين . هكذا الأمر الى أن يظهر المهدي وخاتم الولاية المطلقة عليهما السلام . ويظهر الأسرار الإلهية ، فلا يبقى كفر ولا كافر على وجه الأرض مدة بقائهما وعند انتقالهما الى الآخرة وانتقال مؤمني زمانهما يحصل الخفاء المطلق أيضا بحيث لا يبقى مَن يعمل بالشريعة المحمدية بل يعملون بالطبيعة المحضة فعليهم تقوم الساعة . كما قال عليه الصلاة والسلام : «« لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله .»» (٣) وقال : لا تقوم الساعة إلاّ على أشرار(٤) الناس .»» (٥)

قال رحمه الله :

* فإن ذكرت في الحي أصبح أهله   نشاوى ولا عار عليهم ولا إثمُ *

---

١ ـ كا الكليات : ر   ٢ ـ من : سل   ٣ ـ مسلم : إيمان ٢٣٤

٤ ـ الأشرار : ر ؛ شرار : سل   ٥ ـ مسلم : امارة ، ج ٢ ، ص ١٥٢٤

يجوز أن يراد بالحي : العالم الكبير ، وبأهله : المستعدون القابلون (١) للتجليات الإلهية وفي إتيانه حينئذ بلفظ الحي ايماء الى أن للعالم بأسره جمادا كان أو حيوانا حياة . وإن كان الحيّ لغة القبيلة . ويجوز أن يراد به عالم الصغرى الإنساني ، وبأهله القوي الروحانية والجسمانية ، أي فإن ذكرت المدامة المذكورة في الحي ، بالذ كر اللسني أصبح أهله نشاوى ، أي سكرى من طيب ذكرها فإن نفوسهم وأسماعهم يتلذذون بسماع اسمها كما قال القائل :

* ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ، ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر *

وقال الناظم :

* لروحي يهدي ذكرها الروح كلما ، سرت سحرا منها شمال وهبت *

* ويلتذان هاجبته(٢) سمعي بالضحى علي ورق سرت وتغنت *

وذلك لأن ذكر المحبوب الحقيقي وذكر مجلس أنسه في مقام قدسه وشرب شراب المعرفة حين وصله ، وتذكر النفوس الناطقة أوطانها الأصلية وأقرانها الملكية ولذاتها الأزلية . كما قال الناظم :

* وينسب مُرّ الخطب حلو خطابه ، ويذكّره نجوى عهود (٣) قديمة . *

فيأخذها الوجد والسكر الذي لا عار عليهم فيه ولا اثم لهم بل حصول المراتب والمقامات العلية والمنازل والدرجات الأولية ، والخلاص من الدركات السفلية . هذا مع أن ذكر اللساني أدنى المراتب كما قال الجنيد قدّس الله روحه :

* ذكرتكَ لا إني نسيتك لحظة ، وأيسر ما في الذكر ذكر لساني *

وأما اذا نزلنا الذكر بالذكر القلبي الذي هو الناطق بالحقيقة ، كما قيل في حقه (٤) :

* أن الكلام لفي الفؤاد وإنما ، جعل اللسان على الفؤاد دليلا *

وهو إدراكه للمذكور واستحضاره إياه بالتوجه التام اليه ، أو بالذكر الروحي ، أو (٥) السري الذي هو مسامرة الروح ومفاجأة السر مع المحبوب الحقيقي ، فتكون اللذة أتمّ والفيض أكمل والوجدُ أقوى ، والسكر أغلب ، لوجود التجليات الإلهية ، والفيوض الرحمانية لهم . وقد قال الله تعالى: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه .»(٧)

---

١ ـ القائلون : ر ٢ ـ هجته : ر ٣ ـ قديمتي : ر ٤ ـ ناقص في سل

٥ ـ ناقص في سل ٦ ـ ناقص في سل ٧ ـ ابن ماجه : ادب ، ج ٢ ، ص ١٢٥٥

وهم الملأ الأعلى والملائكة المقرّبون وذكر الحق سبحانه عبدَه وذكر ملائكته إياه يستلزم تكميله ورفعه الى أعلا (١) عليّين من أسفل السافلين .

قال رحمه الله :

* ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت   ولم يبق منها في الحقيقة إلاّ رسم *

الدنان ، جمع دن وهي الخابية . وتصاعدت ، إرتفعت . والمراد ظهرت ، وأراد بالدنان النفوس (٢) الكاملة المكملة المحيطة بمدامة المعارف الأهلية والأسرار الرحمانية . فاستعار لهم لفظ الدن من حيث أنهم محيطون بما يشكر ويزيل العقل ، أي ظهرت مُدامة المعرفة الإلهية من مواطن (٣) القلوب الكاملة المكملة ، والنفوس الواصلة الموصلة للنفوس الناقصة الى كمالاتها وهي نفوس الأنبياء والأولياء الداعين للخلق الى الحق المكملين نفوسهم بإيصالهم الى مقعد الصدق. والحال أنه لم يبق منها بين أيدي الناس في هذا الزمان في الحقيقة إلاّ اسم ورسم بظهور الناقصين في صور (٤) الكاملين ، والمبعدين في زي المقربين ، وذلك لأن النبوة قد انختمت ، والأولياء قد اختفوا وقد بينا سبب ذلك في البيت السابق ، وهو قوله :

ولم يبق منها الدهر غير حشاشة   ، فلا حاجة الى التطويل في هذا المحل .

قال رحمه الله :

* وإن خطرت يوما على خاطر امرء   ، أقامت به الأفراح وارتحل الهم *

الباء في به بمعنى في . ويجوز أن يكون للسببية ، أي بسبب خطورها . والخاطر ما يخطر على القلب ، ويقال له أيضا الخاطر . تسمية للمحل باسم الحال . والخواطر رحمانية وملكية ونفسانية وشيطانية ؛ ولكل منها علامات يعرفها السالك بذوقه ويميز بينها بعقله وهي أن الخاطر اذا كان بحيث يجذب القلب الى الحق ويعطيه سرورا ولذة في العبادة ويكشف عليه العلوم والمعارف والإطلاع على الحقائق ، فهو رحماني .

وإن كان يعطي الفرح والحبور في العبادات وتحرض النفس على الطاعات والأعمال الزاكية فهي ملكي . وإن كان يعطي الالتذاذ بالمباحات النفسانية من المآكل والمشارب والمنكح فهو نفساني . وإن كان يعطي الالتذاذ بالمحرمات الشرعية والمفاسد ، ويوجب اكتساب الصفات الذميمة ، وارتكاب الرذائل الشيطانية فهو شيطاني . ومعناه إن حلت تحقيقها وقتاً من الأوقات الشريفة بالنفحات الإلهية المشار اليها في قوله عليه الصلاة والسلام :

---

١ ـ أعلى : ر   ٢ ـ ناقص في ر   ٣ ـ بواطن : سل   ٤ ـ صورة : ر

« إن لله في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها . » (١) في قلب سالك عارف ؛ أقامت فيه أنواع الابتهاجات واللذات الروحانية الموجبة لارتفاع الهموم الناتجة (٢) من الحجب الظلمانية فإن حلولها إنما يكون بالتجليات الإلهية النورانية الرافعة عن القلب من تحجبه عن الرب وفي قوله :

« أقامت به الأفراح وارتحل الهم . » بلفظ الفرح والهم لطيفة وهي أن الفرح والهم (٣) أمران متقابلان حاصلان للنفس بالملامة وعدم الملامة وحصول الفرح للنفس وارتحال الهم عنها يدلّ على تنور القلب وحصول السرور والبسط له وارتفاع القبض عنه وهو يدل على حصول الابتهاج للروح والسرور . فإن انكشاف الحقيقة للروح يعطي الابتهاج له أولا ، فيحصل به السرور والبسط للقلب ، ويرتفع عند الفيض ، فتنعكس منه أنواره على النفس فيحصل لها الأفراح ، وترتحل عنها الهموم لعدم (٤) اجتماع الضدين في محل واحد ، فيلوح آثارها على إبدانها التي هي هياكل التوحيد ، أي صوره (٥) ومظاهره كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التحيد آثاره .

قال رحمه الله :

* ولو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم *

الندماء : ندماء المجلس أي ولو شاهد أصحاب السلوك وأرباب العلم واليقين الذين هم المستعدون لشرب شراب (٦) الحقيقة . وندماء مجلس الطريقة المصطفوية ما به انختمت الحقيقة ، واحتجبت عن إراك البصائر ، والأبصار ، لسكروا من غير أن يشربوا من شرابها . فإن نفحات طيبها ، تزيل العقول وتدهش الألباب والقلوب ، فضلا عن عينها ألا ترى أن آثار أنوارها التي ظهرت في عالم الملك وتنزلت عن مراتبها الروحانية العقلية ، ولاحت في صور الجزئيات وتسمت بالحسن مع أنها ضعفت بصحبة الظلمة الجسمية وتكشفت بعد لطافتها الكاملة ، كيف تزيل العقول وتخرب الألباب وأصحابها وتوقع في الفتن والمحن طلابها ؛ فما ظنك في الجمال المطلق الذاتي والنور الساطع الإلهي الذي هو في غاية العظمة والجلال ، ونهاية الكبرياء والكمال المدهش للعقول والقلوب من وراء سبعين ألف حجاب نوراني وظلماني .

---

١ ـ كشف الخفاء ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ٢ ـ الفاتحة : سـل ٣ ـ الغم : سل
٤ ـ لعد : ر ٥ ـ صورة : ر ٦ ـ ناقص في سـل

كما قال عليه الصلاة والسلام : << إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ولو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ، ما انتهى اليه بصره من خلقه .>> (١) وتفطّن مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : << ان هذا النار من نار جهنم غُسلت بسبعين ماء ثم أُنزلت وقبس النور عليها في استتاره واحتجابه>>(٢) اذ لولاه لما كان للعلم وقود ولا ذوق ولا شهود لإحتراقه به واضمحلاله من سطوعه .

قال رحمه الله :

* ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت   لعادت اليه الروح وانتعش الجسم *

النضح ، الرش . والثرى ، الراب الذي عليه نداوة ، أي ولونضح العارفون ورشّوا شيئا مما شزبوا وسكروا به وتنورت بواطنهم وحييت به قلوبهم ، فبقوا أبد الآبدين ونجوا من هلك الهالكين من شراب المحبة وخمر الحقيقة الذي هو ماء الحياة الذي شرب بهالخضر عليه الصلاة والسلام ، ومن في مقامه من متابعيه على قبر ميت أماته الجهل والظلمة الحجابية الناشئة من الانغماس في الشهوات والإنحطاط في الدركات الموجبة لإنتكاس رؤوسهم وإنكدار نفوسهم ، وجعله من الصم البكم العمي ، كما قال الله تعالى : << صم بكم عمي فهم لا يعقلون . >> (٣) وقال : << فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء واذا لووا مدبرين . >> (٤) فأطلق علي الحجاب والكفر اسم المولي ، مع أنهم أحياء بالحياة الحسية .فالحياة الحقيقية ، إنما هي المعنوية والروحانية الحاصلة من نور الإيمان والعلم اليقيني والمعرفة الحقيقية كما قال الله تعالي : << أفمن كان ميتا . >> أي بالجهل << فأحييناه >> أي بالعلم << وجعلنا له نورا يمشي >> في الناس << كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها . >> لعادت اليه الروح بظهور أنوار الروح فيه وان كان ذا روح وقلب فكأنه عديم الروح والقلب حقيقة لعدم ظهور آثارها فيه وحصول أنوارها له وإنتعش جسمه وظهر فيه آثار أنوار الحقيقة ، وأنوار شراب المعرفة ، كما يظهر في بدن شارب الخمر آثاره وشتان بين الأثرين كما بين الخمرين .

---

١ ـ ......   ٢ ـ ....

٣ ـ البقرة : ١٧١   ٤ ـ الروم : ٥٢

قال رحمه الله :

* ولو طرحوا في فيء حايط كرمها عليلاً وقد أشفى ، لفارقه السقم *

الفيء ، الظلّ . وأشفى ، قرب من الهلاك . واتعار لفظ الكرم لقلب العارف المحقق وروحه التي هي مجبولة بشراب المحبة مخمرة بخمر العشق . فإن كلا منهما حامل لما فيه الخمر . واستعار الحايط للجسم الذي تحته كنز المعارف والعلوم ليتيمي الروح والقلب المشار اليه بقوله تعالى : «« واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ورحمة من ربّك »» (١) ويتممها انقطاعهما عن الأب الحقيقي السماوي واحتجابهما عنه ، المشار اليه في قوله عيسي عليه الصلاة والسلام «« إني ذاهب إلى أبي وزبيكم السماوي . »»(٢) والمراد ، الروح الأعظم الإلهي المشار اليه بقوله : «« قل الروح من أمر ربّي »» (٣) واستخراج كنزهما إخراج ما فيهما بالقوة الى الفعل أي ولو أتى عليل (٤) الجهل ومريض الحجاب ، أو عليل (٥) الشوق ومريض الإشتياق عند العارف المحقق الكامل المكمل ، طبيب الأرواح والنفوسحامل الأمانة الإلهية التي لم تحملها السموات والأرض كما قال تعالى : «« إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان لنفسه ظلوما جهولا . »» (٦) على نفسه بتكليفها على الرياضة الشاقة جهولا غير الحق ناسيا إياه لا يشاهد إلاّ هو ، والحال أنه قد أشرف على الهلاك بالبعد والطرد على الأول أو بالوجد والشوق على الثاني لفارقة سقم الجهل بحصول العلم واليقين والخلاص من ظلمة الجهل والتخمين أو بوصوله الى ما فيه برد اليقين وتسكين حرارة المشتاقين . قال رحمه الله :

* ولو قربوا من حانها مقعدا مشى وينطق من ذكري مذاقتها البكم *

قرب يقرَب : بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر بمعنى قرّبَ من التقريب . والمقعد : بضم الميم وفتح العين ، اسم مفعول من الإقعاد ، وهو الزمنُ ، المفلوج رجلاه .

---

١ ـ الكهف : ٨٢ ٢ ـ لم أجد له أصلا ٣ ـ الإسراء : ٨٥

٤ ـ عليك : ر ٥ ـ عليك : ر ٦ ـ الأحزاب : ٨٢

استعار لفظ الحان للعارف الذي هو منبع شراب المحبة ومظهر الهوية الإلهية من اشتمال كل منهما على ما يسكر . واستعار لفظ المقعد للواقف في الحجاب ، لكون كل منهما عاجزا عن الحركة والسير . وأراد بالبكم من لا ينطق بالحق والتوحيد ، أي ولو قرب من المعارف المتصرف في الوجود الظاهر بالقدرة الإلهية الخارقة للعادات مَن ليس له حركة وسير في الباطن الموقوفة في مقام من مقامات أهل الضلال ، لحكم وقوفهم . انهم هم مسؤلون مشي وسار عند إرادة العارف منه ذلك وتصرّفه فيه بالسير والسلوك حتى يحصل له الكمال كما أنه يحيي الموتي ويبرئ الأكمه والأبرص وغير ذلك من التصرفات وخوارق العادات التي تظهر من الأنبياء والكمل ، قال تعالى : «« ويبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني .»» (١) والإذن من الله تعالى على سبيل الإجمال واعطاؤه الإستعدادات (٢) والقدرة ؛ وعلى سبيل التفصيل القاؤه في قلبه الفعل المخصوص وينطق من ذكر ذوق المدامة الحقيقية البكم الذين لا نطق لهم كما قيل : من عرف الله طال لسانه . وقولهم من عرف الله كلّ لسانه إنما هو من الحياة لا من البكم .

قال رحمه الله :

* ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها   وفي الغرب مزكوم لعاد له الشم *

أراد بالشرق ، مطلع الروح ، وهو الذات الأحدية الظاهرة منها أولا الروح الكلي المسمى بالعقل الأول الكلي المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام : «« أول ما خلق الله العقل . »» (٣) ، «« وأول ما خلق الله القلم . »» (٤) ، «« وأول ما خلق الله نوري . »» (٥) وفي رواية أخرى «« روحي »» (٦) والمراد بها شيء واحد ، وهو الروح المحمدي الموصوف باعتبارات ثلاث ، بالعقل والقلم والنور . وبالغرب : مغرب شمس الروح وهو البدن ، ومن هنا تتنبه على المراد من قوله عليه الصلاة والسلام في أشراط الساعة : «« من طلوع الشمس من الغرب . »» (٧)

---

١ ـ المائدة : ١١٠.   ٢ ـ الإستعداد : ر   ٣ ـ العجلوني : كشف الخفاء ، ج ١ ، ص ٢٦٣.   ٤ ـ أبويعلي : المسند ، دمشق ، ١٤٥ ، ٤ / ٢١٧

٥ ـ السيوطي : تخريج أحاديث شرح المواقف ، بيروت ، ١٤,٦ ، ص.١٢٣

٦ ـ العجلوني : كشف الخفاء ، ج ١ ، ٢٦٦ / ٢٦٥

٧ ـ

وبالأنفاس : التجليات الإلهية الحاصلة من الذات والأسماء والصفات وبالمزكوم : المحجوب المحروم عن روائحها الطيبة بتجليات النفس الرحماني الحائل صور جميع الموجودات روحانيتها وجسمانيتها شرقيتها وغربيتها ، وفي غرب الأبدان العنصرية مز كوم محجوب عن إدراك روائحها الطيبة لعاد له الشمّ ، أي لصار (١) من أهل الإدراك فأدركها إدراك العارفين ، وتروّح بها تروح المشاهدين . قال رحمه الله :

* ولو خضبت من كأسها كفُّ لامس   لما ضلّ في ليل وفي يده النجم *

استعار لفظ الخضاب لعكس لون الشراب الواقع على اليد حال كونه في يد الشارب . واستعار لفظ النجم للكأس لوجود اللمعان والتشعشع فيها ، كما قيل : * يا ساة لا تشعشع الراح بما   فإنه يكفّه عن عمل . *

أي و(٢) لو انصبغت بصبغة مقتضيات التجليات الإلهية ، بدَلُ(٣) القلب والروح الذين يشربان شراب (٤) الحقيقية وخمر المحبة . ويلمسان كؤسهما بصفاء استعداد الروح ، وقابلية القلب لَما ضلّ السالك في ليل الطبيعة الموجبة للاحتجاب (٥) والإستتار عن طريق الحق والسلوك فيه ولا يخرج عن الصراط المستقيم حينئذ ، لأنه سار بالنور الإلهي ومهد بنجم كأس الحقيقة الذي هو المظهر الحقيقي للهوية الإلهية المنور بنور شمس الأحدية وهو عين الكامل المكمل ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «. أصحابي كالنجوم بأيهم إقتديتم إهتديتم» (٦) وقال الله تعالى : «وبالنجم هم يهتدون .» (٧)

قال رحمه الله :

* ولو جليت سرا على أكمه غدا   بصرا ومن رواوقها تسمع الصم *

جليت على البناء للمفعول ، أظهرت من جلاه اذا أظهره . والراووق ، ما يراق فيه العصير ، ليروّق عن الثقل ، أي لو أظهرت الحقيقة الأحدية من (٨) طريق السر والباطن على مَن لا بصيرة له غدا صاحب البصيرة فيعد بصيرا عند أرباب الحقيقة ، فإن مَن لا بصيرة يعد من العميان كما قال الله تعالى في حق الكفار المحجوبين عن الحق و وحدته المنكرين لمظهر اللطف ورحمته نبينا عليه الصلاة والسلام : «صم بكم عمي فهم لا يعقلون .» (٩)

---

١ ـ لعاد : ر   ٢ ـ ناقص في ر   ٣ ـ يد : سل   ٤ ـ لشراب : ر
٥ ـ للاصاب : سل   ٦ ـ العجلوني : كشف الخفاء ، ج ١ ، ص ١٣٢
٧ ـ النحل : ١٦   ٨ ـ عن : ر   ٩ ـ البقرة : ١٧١

مع كونهم أصحاب الأسماع والأبصار وناطقين بالألسنة ومن الصوت الحاصل منها عند تقطيرها ، وجعلها مروقا ، تصير أصحاب الصمم ، أي أصحاب الحجاب سميعا ذا إدراك وسمع وشهود سميعا أي وعند تميز الحق عن الباطل ، والحادث عن القديم . وأخذ صفاوة العلوم والمعارف عن العبادات التي هي كالقشور بالنسبة اليها بالرياضة وإدراك المراد منها ، يصير القلب ، قابلا للادراكات العقلية التي فوق ذلك والتجليات الإلهية التي هي أعلى . فيشاهد الحق ومظاهره ، لارتفاع الحجاب عن عيني قلبه وسمع فؤاده ، فيكون سميعا بصيرا .

قال رحمه الله :

* ولو أن ركبا يمّوا ترلب أرضها وفي الركب ملسوع لما ضره السمّ *

أراد بالركب ، السايرين الى الحق والسالكين طريق الصيد . وبالملسوع ، المحجوب الذي لسعه عقرب التوهمات الباطلة وحيّة التصورات الغير الواقعة للحجاب الواقع بين القلب وربه . وأراد بالركب ، أهل الحجاب المومنين . وبالملسوع ، المفتون الذي لسعته حيّة الشهوة وعقرب الهوي والنفس ، مع وجود الإيمان ، أي ولو أن أهل الركب قصدوا وتوجهوا الى تراب أرض سكن فيه مدام المحبة وشراب الحقيقة ، ونالوا منه شيئا لزال أثر ذلك الجهل والحجاب وما ضره سم الشهوة والهوى ، لنيلهم الترياق الأكبر (١) وشربهم ما يزيله ويدفعه ، وهو لبن العلم وشراب المعرفة الحقيقية ، وترياق التوحيد المكتسب من صحبة العرف المحقق . فالمراد بالتراب ، بدون العارف ؛ وبالأرض نفسه التي هي منطبعة فيه ، فإنها كالأرض بالنسبة الى نفس الناطقة المجردة التي هي من السماء ، أي ، من عالم الجبروت والملكوت .

قال رحمه الله :

* ولو رسم الراقي حروف اسمها علي جبين مصاب جَنّ أبراءه الرسم *

أراد بالراقي ، العارف المرشد ؛ وبالمصاب ، المحجوب الذي أصيب به آفة جنة الوهم وشيطان النفس والهوى . وبالجبين ، القوة الخيالية التي تنطبع فيها صور المحسوسات والمعقولات الظاهرة بالصور المثالية ، لكون محلها فوق الجبين مقدم البطن الأول من الدماغ . وهي المسمى بالحس المشترك بين أهل الحكمة .

---

١ ـ ناقص في ر

والمراد بالاسم ، المسمى ؛ وبالحروف ، أجزاؤها العقلية والمادية الحسية التي هي العناصر ، أي(١) ولو رسم ونقش العارف المحقق معاني أجزائها العقلية ، أو معاني العناصر وحقايقها في قلب المحجوب المصاب بمصيبة الوهم وفتنة الشيطان والنفس . وفي قوته(٢) الخيالية إبراؤه ذلك النقش مما وقع فيه ، واحتجب به وصار ضالا ومحجوبا . والغرض ، أن العارف لو تصرف في المحجوب بتبيان العلوم اليقينية والمعارف الإلهية لديه ، بحيث يقبلها وينتقش قلبه بها ، من آفات ما كان فيه .

قال رحمه الله :

* وفوق لواء الجيش لو رُقم اسمها لأسكر من تحت اللواء ذلك الرقم *

يجوز أن يراد باللواء (٣) المحمدي ، الذي جميع الأنبياء والأولياء تحته يوم القيامة كما أشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام : « وآدم ومن دونه تحت لوائي يوم لا ظل إلاّ ظلّه . » (٤) فالجيش ، حينئذ جميع الخلائق والأنبياء رؤساء الجيش ومقدموهم ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل . ويجوز أن يراد باللواء ، من هو علم بين القوم ووجه لهم وسيدهم ؛ والجيش ، ذلك القوم . أي ولو رقم الكاتب الحقيقي الذي هو الحق ؛ بالقلم الأزلي المشار اليه بقوله تعالي: « ن والقلم وما يسطرون » (٥) وقوله عليه الصلاة والسلام : « أول ما خلق الله القلم . » (٦) في صورة اللواء (٧) المحمدي مسمى شراب الحقيقة ، وراح المحبة بأظهاره لمن تحته اللواء من الأنبياء والأولياء ومتابعيهم من الأمم لأسكرهم ذلك الرقم وهيمتهم بظهور أنوار تجلي الذات الأحدية لهم ، هذا على المعني الأول . وعلى المعنى الثاني : لو رقم العارف المحقق الوارث الكمل وهو القطب خليفة قطب الأقطاب على قلب مَن هو علم بين الناس ووجه لهم وسيدهم في ذلك العصر ، مسمى شراب (٨) المحبة الحقيقية وأظهر الحقيقة الإلهية المستترة بحجب الأكوان وصورهم لكل من تبعه وانتسب اليه فشهدوا ذلك المرقوم شهودا عيانيا (٩) ، وعلموا إياه علما يقينيا لأسكر ذلك الرقم كل مَن قرأه قراءة حقيقية من المؤمنين الموحدين . لأنه بمنزلة الكتاب المرقوم الإلهي المشار اليه في قوله : « كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون . » (١٠)

---

١ ـ ناقص في ر ٢ـ قوة : ر ٣ ـ باللوى : ر ٤ ـ أحمد بن حنبل ، ٢٩٥/١ - ٢٧١ - اعيانيا : سل ٥ ـ القلم : ١ ٦ ـ أبو يعلى : المسند : ٢١٧/٤.
٧ ـ اللؤلؤ : ر ٨ ـ لشراب : ر ٩ـ اعيانيا : سل ١٠ـ المطففين٢١/١٨

قال رحمه الله :

* تهذب أخلاق الندمى فيهتدي بها لطريق العزم مَن لا له العزم *

اللام في لطريق العزم ، بمعنى : الى . وفاعل يهتدي : مَن في مَن لا له ولا : بمعنى ليس أي يهذب شربها ، أخلاق الندامي ، فيهتدي بسببها الى طريق الحق والعزم اليه بالسير والسلوك من لم يكن في قلبه العزم والتوجه صوبه ، باشتغاله الى الذات النفسانية . وذلك لأن مَن شرب شراب المحبة وذوق راح الحقيقة ، يوجب إعراض النفس عن جميع ما سوى الله تعالى ، يعطي الإقبال الى المحبوب الحقيقي ، فيدخل في طريق الطلب ويعزم اليه وطلب الحق والوصول اليه ، لا يمكن إلاّ بشيئين : اما بالعقل المنور المعادي ، أو بالمتابعة ، ولكون السير العقلي بالإستقبلال عند خروجه عن الآثار التي بها يُستدل على المؤثر فيها ينقطع ، كما أشار اليه جبرائيل : لو دنوت انملة لإحترقت ، يجب عليه المتابعة لمن تنور قلبه بنور ربه وأراه (١) آيات ذاته وحقايق اسمائه وصفاته على ما هي عليه كما قال الله تعالى « كذلك ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . » (٢) وهم الأنبياء . كما قال الله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله . » (٣) وعند لزومه باب (٤) المتابعة والتذاذه منها يتنور باطنه وينفتح على قلبه باب (٥) الملكوت ، فيشاهد أنوار العبادات وصورها الغيبية .

فيزيد على الطاعات والنوافل ، فيحصل له نتيجتان (٦) : الفرائض والنوافل ، المشار اليهما بقوله تعالى : « ما تقرب اليّ متقرب بمثل ما افترضت عليه ، ولا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي . » (٧) فحينئذ يتحقق بالوجود الحقاني ويتصف بصفاته ويتخلق باخلاقه كما قال عليه الصلاة والسلام : « تخلقوا باخلاق الله » (٨) فيخلص من مضايق الصفات الكونية لسعة الصفات الرحمانية .

---

١ ـ وإرادة : ر ٢ ـ سورة ٣ ـ آل عمران : ٣١ ٤ ـ بانّ : ر

٥ ـ بانّ : ر ٦ ـ نتيجت : سل ٧ ـ البخاري اذان ، ٥٢ ، ٧٤

أبو داود : صلاة ٦٨ ، ٧٤

٨ ـ

قال رحمه الله :

* ويكرم من لا يعرف الجود كفّه ويحلم عند الغيظ من لا له الحلم *

لما ذكر التخلق بأخلاق الإلهية التي ببعضه ليقاس عليه كله ، ويكون الشارب للشراب الخمري غالبا يتصف عند المباشرة بالكرم والجود خصصهما (١) بالذكر جمعا بين الشرابين ، ثم قال : ويحلم عند الغيظ من لا له الحلم : فرقا بينهما ؛ فإن شرب الشراب الخمري يعطي الطيش والغضب (٢) ويلحق صاحبه بالشجعان .

قال رحمه الله :

* ولو نال فدم القوم قِدامها لأكسبه معني شمائلها اللثمُ *

فدم القوم ، غبيتهم وجاهلهم . والفدام ، ما يشدّ به الفم ، وكذلك اللثام . لكن الفدام مخصوص بظرف الخمر ، واللثام مخصوص بفم الإنسان . واللثم ، التقبيل والشمائل الأخلاق الحميدة ، أي لو قبّل الجاهل الغبيّ فِدام الخمر ، لأعطاه ذلك التقبيل معاني أخلاقه وصفاته . والغرض ، أن مَن لم يعلم شيئا من المعارف الإلهية والحقائق الرحمانية ، لو وصل الى العارف المحقق والكامل المكمل حامل الأمانة الإلهية ، شارب الشراب الطهوري وانقاد له ، ويقبل (٣) ما يشرب اليه على سبيل التصديق والإيمان . يشرب مما يطفح منه لأكسبه ذلك الإنقياد والقبول معاني قلبية وعلوما يقينيةً من نتائج المحبة الإلهية والمعارف الحقانية . فالمراد بافدم : المحجوب الغافل عن (٤) الحقائق ؛ وبالفدام ، العارف المحقق الذي هو محيط بخمر المعارف ، وشراب الحقائق . فإنه أطلق الفدام وأراد المفدوم .

قال رحمه الله :

* يقولون لي صفها فأنت بحالها خبير أجل عندي بأوصافها علم *

* صفاء ولا ماء ولطف ،لا هوي ونور ولا نار وروح ولا جسم *

أي يقولون (٥) لمحجوبون (٦) عن الحقيقة الطالبون إياها ، ما هذه المدامة التي هذه المذكورات من لوازمها ؛ صفها لنا لإطلاعك عليها واحتجابنا عنها ، كما قيل لرسول الله : أنسب لنا ربك ؟ أي صف لنا ربك ؟

---

١ ـ خصصها : ر ، سل ٢ ـ ولغضب : ر ٣ ـ وتقبل : ر

٤ ـ من : ر ٥ ـ يقول : سل ٦ ـ المحجوب : ر

فنزلت سورة الإخلاص ، فوصفها بأنها ذات صفاء ولطف لئلا يتوهم أنها من التراب . ثم قال : وليست ماء ولا هواءً . لئلا يتوهم أنها منهما ثم وصفها بالنورية ونفى عنها كونها نارا ، ثم نفى الجسمية عنها مطلقا ، وأثبت كونها أمراً روحانياً بقوله روح ولا جسم ، ليُعلم أن شربها مخصوص بالقلب والروح لا الجسم فصرح هنا بما أراد بالمدامة المذكورة .

قال رحمه الله :

* محاسن تهدي المادحين لوصفها فيحسن فيها منهم النثر والنظم *

أي انها محاسن غفيرة متناهية ، وكمالات غير احاطية ، تهدي تلك المحاسن المادحين إياها الى أوصافها ، فيحسن في مدحها منهم النثر والنظم ، أي في مدحها يصير الكلام المنثور والمنظوم حسنا ممدوحا ؛ كما قال الشاعر :

* ما إن مدحتُ محمدا بمقالتي لكن مدحتُ مقالتي بمحمد *

فمحاسن مبتدأ ، خبره محذوف ، واللام في لوصفها ، بمعنى الي .

قال رحمه الله :

* ويطرب مَن لم يدرها عند ذكرها كمشتاق نغم كلما ذُكرت نغم*

أي مَن لم يدرك تلك المدامة ، ولا شربها ، يطرب من ذكرها عند السماع شوقا اليها كمشتاق نغمات (١) فإنه كلما ذُكرت لفظة نغمات يتلذذ (٢) بها ؛ كما قيل :

* أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو السمك ما كررته يتضوع *

وقيل :

* كرر أحاديث ليلى لي وجارتها إذ الحديث من ليلي تسليني *

وقال رحمه الله :

* وقالوا شربت الإثم ، كلاً وإنما شربت التي في تركها عندي الإثم *

لما استعار في أول القصيدة للشراب الروحاني ، لفظة المدامة ، وشاربها آثم . وشُربها إثم (٣) ؛ أطلق الإثم عليها ؛ أي المحجوبون عن الحق الذين (٤) لم يذوقوا لذة المحبة الإلهية واشتغلوا بمحبة الآثار وانتشت رؤسهم بعبادة الأنداد وأحبوهم كحب الله .

---

١ ـ نغماة : ر ٢ ـ يلتذ : سل ٣ ـ اسم : ر ٤ ـ الذي : ر

كما قال تعالى : «« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله . »» (١) على قولهم : شربت الإثم ؛ أي ارتكبت امرا منهياً عندهم ، وهو ترك اللذات الجسمانية والشهوات النفسانية المباحة في الشريعة ، لعموم الخلائق . فقلت : كلاّ ، أي ردعت عن (٢) هذا الكلام . وقلت في جوابهم ، شربت (٣) المدامة التي عندي إثم تركها . لأن الواجب على كلّ مستعد للحق أن يشرب شراب المعرفة ويطرب من ذكرها فيسقي الطالبين المستعدين الذين هم عُطاش المحبة الثابتين في نار الشوق والهجران ، القائلين لأهل جنة الوصول ، أفيضوا علينا من الماء فيضا ، فنحن عُطاش ، وأنتم ورود .

قال رحمه الله :

* هنيئا لأهل الدّير كم سكروا بها وما شربوا منها ولكنهم همّوا *

أراد بأهل الدير : العرفاء المحققين الذين شربوا شراب المحبة وسكنوا دير العشق ، أي هنيئا للعرفاء المحققين الذين شربوا شراب المحبة صافية وطابوا وسكروا بها . ولما كانت المحبة الذاتية عين الذات وقليل من يتحقق بها من العرفين فإن الأقطاب والأفراد هم المحققون بها قال ، وشربوا منها ولكنهم همّوا ؛ أي قصدوا شُربها وما قدروا عليه . وإنما سماهم الي الدير ترشيحا للاستعارة . حيث جعلهم كالراجين كما قيل في الفارسية :

فتية(٤) لا يعرفون العار عارا لا مسلمون ولا يهود ولا مجوس ولا نصارى

قال رحمه الله :

* وعندي منها نشوة قبل نشأتي معنى أبدا تبقى وإن بلي العظم *

أي وعندي من مدامة المحبة وشراب المعرفة نشوة تامة ، قبل نشأة العنصرية ، أي في الأزل . وتلك (٥) النشوة تبقى معي أبدا الآبدين وإن بلي عظمي . وفيه إشارة إلى تحقق بمقام (٦) الكمال الكمل (٧) المكملين .

قال رحمه الله :

* عليك بها صرفا فإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم *

---

١ ـ البقرة : ١٦٥ ٢ ـ عنّي : ر ٣ ـ لشربت : ر

٤ ـ فتية : سل ٥ ـ ناقص في ر ٦ ـ ناقص في سل

٧ ـ ناقص في ر

الظلم بفتح الظاء المعجمة (٥) وسكون اللام بياض الأسنان ويستعمل في الرفيق أيضا وهو المراد هنا ، أي عليك يا سالك ، أن تشرب مدام المحبة الحقيقية صرفا ليزول عنك عقلك وتضمحل بها بشريتك وتبقى حينئذ بالذات الأحدية وتصل الى السعادة السرمدية . فإن شئت مزجها لتقدر على شربها فامزجها بظلم الحبيب وريقه بمص الشفتين منه . فإن عُدولك عنه بأن يمزجها بشيء آخر غيره هو الظلم منك فإن سَورة شراب المحبة لا تنكسر ولا تسكن إلاّ بوصول الحبيب وعناقه لا بشيء آخر .

قال رحمه الله :

* ودونكما في الحآن واستجلها به   على نغم الا لحآن فهي بها غنم *

ودونكما بمعنى خذها . والباء في به بمعنى في . وفي بها معنى مع (٦) . واستجلها ، أي واطلب ظهورها . وضمير بها عائد الى الا لحآن ، وهي المدامة ، أي وخذها واشرب منها في الحآن وهو حانة الخمّار . على نغَم الا لحان الطيبة والأصوات المطربة . فإن شرب المدامة مع النغم غنيمة . والمراد بالا لحان الطيبة كل ما يفضي بالوجد ويوقد نار الشوق ويُهيج حرارة اشتغال الاشتياق من قراءة القرآن وحضور مجالس الذكر وسماع أقوال المغني وما شابهها

قال رحمه الله :

* فما سكنت والهم يوما بموضع   كذلك لم يسكن مع النغم الغم *

أي لم يجتمع الشراب الحقيقي والهم في قلب واحد ، كما لم يسكن من النغم الغم لإعطاء كل واحد (٣) منهما السرور واللذة ، والضدان لا يجتمعان واعلم أن الهم والغم ، إما أن يكون على فوات مطلوب مرغوب فيه ، أو حصول ما لا يلائم الطبع ولا يوافق النفس ويكون مرغوبا عنه ومن ذاق شراب المعرفة وتحقق بذوق التوحيد . لا يحزن على فوات مطلوب ما لعلمه بأن ما هو له لا يمكن ان يفوت عنه . وما ليس له لا يمكن أن يصل اليه : بل لا (٤) يشاهد للغير وجودا ليكون مرغوبا عنه ، لشهود (٥) جمال الذات الأحدية في كل شيء . كما قيل :

* تجلي لي المحبوب من كل وجهة   فشاهدته في كل معنى وصورة *

١ـ ناقص في سل   ٢ ـ على : ر   ٣ ـ ناقص في سل   ٤ ـ لشهودة : ر
٥ ـ ولو يحصل : سل   ٦ ـ يفنيك : ر   ٧ ـ الزمر : ٦٨   ٨ ـ غافر : ١٦

إلاّ أن يغلب عليه احكام الكثرة ومقتضيات التفرقة . فحينئذ يغتم من شيء ويفرح بشيء . لغلبة وجه البشرية على وجه الربوبية الحاصل من ظهور الهوية الأحدية فيه .

قال رحمه الله :

* وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبدا طايعا ولك الحكم *

أي لو حصل (١) لك يا طالب الحق وسالك سبيله وشارب شراب المحبة ورحيق الحقيقة ، سكرة واحدة من المدامة الحقيقية ، ولو كانت تلك السكرة ساعة من عمرك ترى الدهر وأصله ممن تحت حكمه عبدا لك طايعا لحكمك وترى أنك الحاكم عليه . وذلك لأن سكرة منها تفنيك (٢) في الذات الأحدية تبقيك بها وتجعل ذاتك متحدةً بذاتها . فيكون لك الحكم في الدهر وما تحت حكمه من أهله وفي الحقيقة هذه السكرة هي الصفة التي قال الله تعالى عنها : « فصعق من في السموات ومن و الأرض إلاّ ما شاء الله » (٣) لأن كلاً منهما لا يحصل إلاّ من تجليات الجلال الذي للواحد القهار ، كما قال الله : « لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار . » (٤) ولها أسرار أُخر لا يحتمل المقام بيانها .

قال رحمه الله :

* فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحيا ومن لم يمت سكرا بها فاته الحزم *

أي اذا كان في سكرة واحدة منها يحصل للطالب هذه الساعة الأبدية والسياسة السرمدية التي عندها يكون العيش طيبا . فلا عيش لمن عاش صاحيا في الدنيا محجوبا عن الحقيقة ومعانيها ، مفتونا بالدنيا ومعانيها . ومن لم يمت أي ومن لم يمت بالموت الإرادي حال كونه سكرانا منها ، فاته الحزم والعقل . فإن ذلك الموت يعطي الحياة الأبدية وعيش الدنيا يورث الوفاة السرمدية . فلا عقل لمن يختار الفاني على الباقي ، والموت على الحياة . واعلم أن المراد بالصحو هنا ، الصحو الأول الذي للمحجوبين ، وهو الصحو الذي يكون قبل السكر والوصول الي مقام الجمع ؛ لا الصحو الثاني ، الذي يكون للكاملين المكملين بعد السكر والوصول الى مقام الجمع . فأنه أعلى المقامات ، وأرفع الدرجات .

---

١ ـ ولو يحصل : سل ٢ ـ يفنيك : ر ٣ ـ الزمر : ٦٨

٤ ـ غافر : ١٦

قال رحمه الله :

* على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم *

فإنه خاسر الدنيا والآخرة ، لزوال ما كان في يده من العمر والإستعداد الذي به يمكن كسب سعادة الدارين ، وتحصيل سيادة المقامين ،.فما ربحت تجارتهم وما كانوا من المهتدين ، «خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .» (١) لضياع عمره في تحصيل الفاني الذي يجب تركه ، فيقول نفسه : «يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله .» (٢) أعاذنا الله منه وجعلنا من المتقين ورزقنا وإياكم مقامات العارفين وكمالات الكاملين إنه أرحم الراحمين .

---

١ ـ الحج : ١١ ٢ ـ الزمر : ٥٦